ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:09، العدد: 01(2024) ص: 228 - 237

المسكوت عنه في الخطاب النسوي رواية "مورفين أحمر" لمجدولين الجرماني أنموذجا.

the unspoken in the feminist discourse the novel "Red Morphine" by majdoli Aljarmany is an example.

نور الهدى روابح*
جامعة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)
nourelhouda.rouabah@univ-bba.dz

سليم سعدلي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي (الجزائر)
salim.saadelli@univ-bba.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/03/07
تاريخ القبول:
2024/05/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المسكوت عنه.
- ✓ الخطاب النسوي.
- ✓ النسق الفكري.
- ✓ تهميش الكيان الأنثوي.

الملخص:

يعدّ المسكوت عنه في الخطاب الأدبي عامة عنصرا فاعلا خفيّا يوازي البنية الظاهرة للخطاب السّردي؛ إذ يعمل الكاتب على نسج خيوط البنيات الفنية للنص والتي يسعى من خلالها إلى طمس الجوانب الباطنية، لكونها تحمل في طياتها قضايا تطرح موضوعات من صميم الحياة اليومية، وعادة ما تكون رحلة البحث عن المسكوت عنه بمثابة اختراق لذاكرة المعنى الشائكة.

تغدو الذاكرة النسوية المعاصرة في هذه الحالة معرضة إلى لأكثر من حاجز يعيق ويربك مسار الكتابة الإبداعية وقد ينجر هذا من ذاكرة ذكورية تراقب بدقة تفاصيل، ومتاهة الكتابة النسوية ذلك يعمد هذا النوع من الكتابة إلى صرخات صامتة تضج بالممنوع، بالمنسي في تاريخ المرأة، وعليه تهدف هذه الدراسة لمساءلة القيم المسكوت عنها في فضاء الخطاب الأنثوي لمجدولين الجرماني، ويتلخص ذلك في جملة من النتائج التي تظهر على شكل ميكانيزمات مميزة للكتابة النسوية.

Article info

Received
07/03/2024
Accepted
01/05/2024

Keywords:
- ✓ *the unspoken.*
- ✓ *the feminist discourse.*
- ✓ *the intellectual system.*
- ✓ *themarginalization of the female entity.*

Abstract :

Generally, the inspoken in literary discourse is considered a hidden eff-ective element that parallels the apparent structure of the narrative discourse. The writer, then, works on weaving the threads of the technical structures of the text, through which he seeks to obliterate the esoteric aspects because it carries with it issues that raise topics from the heart of daily life, and usually the searching journey for the unspoken is a penetration into the memory of meaning.

Contemporary feminist memory in this case becomes exposed to more than one barrier that hinders the path of creative writing, and this may be deprived of a masculine memory that closely monitors the details of feminist writing. Therefore, this type of writing tends to silent cries, in the history of womenthis study aims to search for what is hidden inmajdoli Aljarmany's speech, and this appears in a number of feminist writing mechanisms.

* نور الهدى روابح.

1. مقدمة

يسعى المنجز الأدبي الروائي المعاصر إلى هدم البنى الاجتماعية الرتيبة، التي سعت طيلة عهود من الزمن إلى ترتيب القوالب الحياتية، وتنسيق الأنظمة الإيديولوجية، وفق استراتيجيات تحدد لكل فرد من المجتمع غاياته، وأهدافه، وكذا أسلوب استقراره، وفي إطار تلك الترسبات الاجتماعية المتوارثة، سعت النصوص الأدبية إلى كشف المسكوت عنه، وخلخلة البنى المقولبة مع مرور الزمن، لتصبح بذلك نسقا اجتماعيا، لا فرار منه إلّا بالعودة إليه.

فالمسكوت عنه في المنجز الأدبي بمثابة الروح للجسد، فلا تتحرك الدلالة الباطنية للخطاب الأدبي إلا بمثولها لسلطة الكتم، والتغييب، وستر القوالب الثقافية المضمرة في ظاهر الحياة الاجتماعية للخطاب، فالنص الأدبي ترجمة للأنساق الثقافية المتوارثة في قالب فني لغوي، هدفه حجب الدلالة المضمرة خلف البنية اللغوية، أو الفنية عامة، والكشف عن المسكوت عنه في الخطاب الأدبي لا يكون إلا بتوليد خطاب معاكس يوازي البنية الظاهرة للنص، والنبش في أسس توليده انطلاقا من البنى المؤسسة لتلك الدلالة.

الحديث عن الخطاب النسوي في خضم تلك الموجة المعرفية المعاصرة، هو حديث عن صرخة استفاقة مفعمة بالحرية والمساواة، وفق قوالب خطابية تنادي بخصوصيتها وتميزها عن نظيرها الرجل، وفي إطار تلك الموجة الحداثية جر الخطاب النسوي وتحديدا رواية "مورفين أحمر" للأديبة "مجدولين الجرماني" جملة من التيمات المسكوت عنها، والمنصهرة بين فنيات اللغة، في خطاب لا يشرّع غير الظاهر الذي ينقل الواقع من اللاوجود نحو استرداد الأنا، وعليه:

- كيف رسم الخطاب النسوي لمجدولين معالم المسكوت عنه بين ثنايا اللغة؟
- وما هي التيمات المتجلية خلف أستار الخطاب المعاكس؟

خلف تلك الإشكاليات المطروحة، اقترحنا جملة من الفرضيات مفادها أن المسكوت عنه آلية من آليات الكتابة النسوية، لتمرير الرسائل المغيّبة ضمن الخطاب الاجتماعي العربي، وأن القيم المسكوت عنها في الخطاب الروائي الأنثوي ماهي إلا وسائل لخلق مكانة لوجودها ضمن معالم التغيب، لذلك تهدف هذه الدراسة إلى كشف الأنساق المضمرة خلف دلالة المسكوت عنه، استنادا للمنهج الفينومينولوجي، القائم على مقصدية الأديب ووعي المتلقي، الذي يعمد النبش في الدلالة الباطنية ضمن خطاب مورفين أحمر لمجدولين الجرماني. ويتلخص ذلك في مقدمة وعرض يضمن نتاج القيم المسكوت عنها في الخطاب النسوي، والمتمثلة في جملة من الميكانيزمات الكتابية التي أضحت ذاكرة للخطاب الأنثوي، وخاتمة للنتائج المتوصل اليها.

2.إضاءة عبر ذاكرة الخطاب النسوي:

الحديث عن الخطاب النسوي هو حديث عن المسكوت عنه ضمن الحياة الاجتماعية، التي حصرت المرأة في خانة التهميش، والتغييب مقارنة بنظيرها الرجل. ما خلق إشكالية تمحورت في صعوبة تقبّل وتلقي هذا الأدب،ورفض الإقرار بتميز كتابة المرأة، وحصرها في خانة محاطة بذاكرة اجتماعية لا تراها إلا بعين النقص فالكتابة الأدبية قائمة على "قسمة ثقافية يأخذ فيها الرجل أخطر ما في اللغة وهو (اللفظ)... فاللفظ فحل (ذكر) وللمرأة المعنى، لاسيما وأن المعنى خاضع وموجه بواسطة اللفظ وليس للمعنى من وجود أو قيمة إلا

تحت مظلّة اللفظ،"(الغذامي، 2006م، صفحة 07) فاللفظ أو اللغة في خضم المنجز الأدبي تتولد من رحم الإبداع الذكوري، امّا المرأة فهي مجرّد محفز لفعل الكتابة، موازية للدلالات الطبيعية المحركة للذهنية الذكورية المنتجة، لذا "فالمرأة في هذا التكوين سوى مجاز رمزي أو مخيال ذهني يكتبه الرجل وينسجه حسب دواعيه البيانية والحياتية،(الغذامي، 2006م، صفحة 07)" وفي هذا الطرح إسقاط على الحياة الاجتماعية نفسها التي حصرت المرأة في خانة التبعية الاجتماعية، بما في ذلك التبعية الأدبية.

إنّ تاريخ الإنتاج الذكوري وإبداء التميز ورفض الكيان الأنثوي، جعل المرأة نفسها تلغي كيانها وتتقبل واقعها المتأزم وتقر بعدم قدرتها على الإبداع والابتكار، ما ساعد في صنع عالم ذكوري مؤطّر حسب استراتيجية ذكورية محكمة، يبرز فيها الخطاب الأنثويفي صورة الضعف،التهميش، الإقصاء... وهذا نتاج التراكمات والترسّبات الذهنية الذكورية، التيحصرتها في خانة التبعية وإشباع الغرائز ف"نظرات الرجال إليها تظل مركّزة على جسدها، وتظل النظرات تستعرض هذا الكائن الأنثوي، الذي هو معرض بصري أو لوحة فنية للقراءة"(الغذامي، 2012م، صفحة 170) لتأدية وظيفة آلية صاغها النسق.

ذلك الإجحاف الذي أضمر طاقات مكبوتة خلف التبعية الذكورية صنع منها المرأة/ الرجل وفجر بادرات الكبت والقهر المحكوم عليهبالصمت، ليصنع بذلك خطابا أنثويا يعبر عن ذاتها، ويدافع عن انكساراتها وتناقضاتها، ويسعى لتحطيم سلطة الذكورة، وخلخلة البنى الصامتة،في مجتمع ينادي بخنق وقتل وجودها.

من هنا انفجرت الخطابات النسوية لترميم ما أفسده المجتمع طيلة عقود من الزمن، فالمرأة من خلال مختلف كتابتها الرمزية والجسدية تستدعي تراكمات ومكبوتات زج بها الزمن في سجنها الروحي، النفسي، لتصنع قاعدة لنفسها تمحو من خلالها وسمة العار التي باتت تلاحقها، "فدخلت المرأة إلى المحظور ومدت يدها إلى اللفظ الفحلوالقلم المذكر،"(الغذامي، 2006م، صفحة 09) وأنتجت كمًّا هائلاً من النصوص التي صنعت من خلالها تميّزها وفرادتها، وأدخلتها "في دائرة المعركة الشرسة ضد الآخر (الرجل) لتغدو هذه الكتابة لا تصف ولا تفسّر ولا تشرح ما تعانيه النساء، بل تهاجم وتخوض في ماء غامر، مما يجعل من اللغة حالة جنسوية نارية موجّهة ضد الآخر."(المناصرة، 2008م، صفحة 112)"فمع مطلع الستينيات بدأ الحديث بشكل واضح عند الغرب ثم الشرق، عن نظرية مغايرة في فضاء الكتابة تتمرد على كتابة الذكور، أو كتابة المجتمع في السياق وعي الذكورة، ونفسية الأبوة وسلطة الرجل ومن ثم كان على المرأة أن تخلع ثوب القيم والعادات والتقاليد التي تربت عليها في تاريخها الطويل، مما جعل كتاباتها لا تعبر عن ذاتها، وإنّما عن التمثّلات الاجتماعية والثقافية المفروضة عليها."(المناصرة، 2008م، صفحة 01) وبذلك أصبحت قادرة على تحرير صمتها ومواجهة السلطات والمؤسّسات الاجتماعية، التي صنعت منها مخلوقا ضعيفا، مقيّدا بأنساق ذكورية.

وبين تلك التراكمات الخطابية النسوية المتحررة، يغدوا الخطاب لوحة ثورية للدفاع عن الذاتبعيدا عن معارضة الكتابة الذكورية، فطبيعة تشكله تفرض الاختلافات البيولوجية، والنفسية القائمة بين المرأة والرجل، فهو نتاج أزمات نفسية ترسّبت في الذهنية الأنثويّ، وهو ما يبرر للنتاج النسائي فرادته وتميّزه، وإن القول بالاختلاف لا ينجم إلاّ من نفس ذكورية متعالية، "ذات النزوع التسلّطي الإطلاقي ولاستحواذي سواء أكان مصدرها الرجل أم المرأة، فهي لذلك كتابة تترجم وعيا مجدّدا بالمغايرة والاختلاف، مداره مقاومة أحادية الصوت والهيمنة، وتكسيرهما."(بوطيب، 2006م، صفحة 05)

وقد حملت المرأة لواء العملية الإبداعية، وأنجزت كماً هائلاً من النصوص السردية من خلال تفاصيل حياتها واستنزاف مشاعرها، وتحرير وجودها ورؤيتها للعالم من زاوية تصنع فرادتها وتميّزها، بعيدا عن السلطة الذكورية، التي مورست ضدهن لعهد طويل من الزمن، لتظهر الأجناس الأدبية وخاصة الرّواية على يد جملة من المؤلفات في الوطن العربي، حاكت من خلالها قضايا المرأة وركزت على حريتها وعلاقتها وموازاتها للرجل، فتحولت "المرأة الكاتبة من الشعور بالوهن والخوف من تجربتها، ومن عدم قدرتها على الصمود أمام تجارب الرجال، إلى تجربة المرأة الجديدة المتمردة على الإحباطات النسوية التقليدية، بل إلى كتابة شجاعة ومنفتحة ومتحدية، وأحيانا مهاجمة لأكبر المواقع التي انطلق منها تابو الكتابة وهو الجنس."(المناصرة، 2008م، صفحة 169) أكثر المواضيع حساسية في الكتابة الحديثة.

ففي مطلع القرن العشرين برزت نصوص نسائية أكثر نضجا أتمت مسار سابقتها، وأثارت جدلا كبيرا حول جرأتها، ثم توالت الكتابات النسائية نحو ما نجده عند مجدولين الجرماني، التي حاولت خرق طابوهات عرفية، كمثيلاتها لردّ الاعتبار لكيانها الأنثوي، "فحيثما تحققت تجليات الكتابة الأنثوية كنا بصدد الإبداع السردي النسائي وكلما انعدمت بعض تجلياتها استبعد نعت الكتابة بالنسائية، ولو كانت الكاتبة امرأة."(يقطين، 2012م، صفحة 207) لتصبح شكواها والتركيز على محو الاختلاف الجنسي، بين المرأة والرجل أهم مواضيعها، التي تحاول من خلالها صنع مستقبل أنثوي في مقابل ماضي ذكوري، استبعدت فيه القدرة الثقافية والإبداعية للمرأة، وإذا عدنا للنبش في المنجز السردي لمجدولين الجرماني، فإننا نجدها تصور الواقع الأنثوي المهترئ الذي تورمت أسسه، جرّاء خاصية الهدم التي صمّمها المجتمع الذكوري، حتى يحصر المرأة في خانة التهميش، وقد صورت ضعفها وانهزاماتها في مقابلسلطة الأبوة الراسخة في المخيال الذكوري، لتحاول بناء ما هدمه النسق الاجتماعي الجائر.

3.الدلالة المغيّبة في خطاب مجدولين الجرماني:

1.3نسق التهميش الأنثوي بين سلطة الآخر وترسبات انهزام الذات:

لطالما ظلت المرأة في المجتمعات العربية وعبر الذاكرة النسقية عنصر تهميش واحتقار، وقد ساعد في ذلك التفكير الذكوري المستبد الذي حصرها في حيز (الام، المربية، الجسد)، غير أنّ ذاكرة الأساطير القديمة، جعلت لها مكانة مساوية للرجل فإذا عدنا للكتب اليونانية نجد "الفيلسوف اليوناني بلوتارخوس، في كتاب الآلهة المصرية القديمة... الآلهة المرأة إزيس كانت أكثر الآلهة معرفة، بل إن اسمها "إزيس" يعني لغويا المعرفة والحكمة، ويدل "هيكل إزيس" على إدراك الحقيقة... ومن يقرا قصة إزيس وأوزوروس يرى أنها كانت دائما تقوم بالفعل والعمل والخلق، وتعيد خلق وبناء ما قد يهدمه الرجال من أمثال "توفون،"(السعداوي، 2017م، صفحة 21)غير أن الطبيعة الذكورية وسمة الاعتلاء التي وهبها لنفسه، جعلت "الرجال ينكرون التاريخ، ويطمسون كثيرا من الحقائق عن المرأة، وفرضوا على النساء وضعا أدنى وجعلوا هذا الفرض مقدسا، ودينا لا يناقشه أحد وقانونا يعاقب بالقتل، أو الحبس كل من يحاول التفكير فيه بموضوعية."(السعداوي، 2017م، صفحة 25) فالهيمنة الذكورية على مرّ السنوات أخضعت المرأة لتقبل النسق الاجتماعي المسيطر، وأوقعتها في خانة المهيمن عليه "فأفعال المعرفة والاعتراف بين المهيمن، والمهيمن عليه التي يثيرها سحر السلطة الرمزية والتي يساهم من خلالها المهيمن عليه، من دون علمه غالبا وضد مشيئته أحيانا في تمرير الهيمنة عليه، عبر قبوله الضمني بالحدود المفروضة،"(م.باحثين، 2019م، صفحة 51)لتصبح منقادة تلقائيا لأوامر المجتمع الذكوري.واتجهت مجدولين الجرماني لتجسيد هذه الغلبة الذكورية في إبداعها السردي، لترسم خارطة الضياع التي ظلت خالدة، وتعيد هيكلتها في نهاية المطاف حتى تجرد المرأة من تبعيتها، ويظهر تهميش الأنثى على نحو:

- الهيمنة البطريكية بين السلطة الأبوةوالآخر:

لطالما ظلت "المرأة واقعة تحت وطأة الخشية والبوح، وتحديد موقعها من الآخر، بمسمياته الكثيرة، ومن (الجماعة) بمؤسساتها (المكرسة)، ومن ذاتها المنطوية على (جسد) تجهله ورغبة لا تصرح بها، واختيار لا تجرؤ على الجهر به، محفوفة بمتاعبها البيولوجية التي لا تزيدها نظرة الآخر حرجا وشعورا بالقمع،"(الصكر، 2022م) هذه الهواجس والمخاوف التي باتت تطارد المرأة وتضعها في سجن لا فرار منه، جعلتها هي الأخرى ترسم في مخيالها أنها محاصرة ضمن واقع ضبابي ظلّ يوجّهها منذ مئات السنين ويحدد مسارها، فالمرأة في مرآة المجتمع، وحتى في مرآة نفسها ما هي إلا مخلوق تابع، خاضع ومهمش لا حراك له إلا بمأمورية الآخر بما في ذلك سلطة الأبوة، التي جعلت دورها منحصرا في خدمة الرجل، اذ "يشير المصطلح الأبوي إلى علاقات القوة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصالح الرجل،"(جامبل، 2002م، صفحة 22)لتبقى بذلك منقادة وتابعة لسلطة الآخر، بما تحمله اللفظة من معاني (الأب، الأخ، الزوج، الرجل عموما)، وهي الصورة التي حاولت الجرماني رسمها ضمن مشهدها السردي انطلاقا من سلطة الأبوة، التي صوّرت المرأة مخلوقا ضعيفا يستهان بمشاعره تقول: "فجأة تذكرت وجه أبي بملامحه القاسية والحانية بآن معا ونقاشاتنا الحادة... إلى أن يصرخ بي بقوة "قومي من وجهي بلا فلسفة،"(الجرماني، الصفحات 33-34) فتجدها تقوم وتتقبل ذلك لأن عقلها اللاواعي مفطور على الازدراء والتبعية،فنسق الهيمنة ظل راسخا في تكوينها العقلي لأن "الصيغ العلائقية الأبوية تفرض مراتبيّة داخل الأسرة، وتفرض واجب الطاعة على المرأة وتمنح حق التأديب للرّجل في المجال البيتي، سواء كان الرّجل أبا أو أخا أو زوجا."(سلامة، 2005م، صفحة 109)فعقدة التبعية تظل عنصرا ملازما للمرأة، فعلى الرغم من ادراك التساوي الفكري، غير أن التهميش الاجتماعي المسيطر على المرأة يظل ساعيا إلى طمس وجودها، وحصرها في خانة الانقياد وعدم تقبل سيرها نحو الأمام، "فوضع المرأة _عموما_ في هذا المجتمع الذكوري البطرياركي جزءا أو فئة من المتاع أو الهامش أو الشيء أو الضحية، أو كبش الفداء."(المناصرة، 2008م، صفحة 161) وسلطة الرجل نفسه في ظل الاستعباد الأنثوي تجعله لا يرى منها سوى أداة للتسلية متاحة له كيف ما يشاء تقول: "عالم الرجال غريب، يريدون كل النساء بسلة واحدة، وتذوقهن على مهل، بحيث لا يفرقون بين الجسد والبدن، فهم أهل التضاد والتناقض"(الجرماني، صفحة 43) فالمرأة ماهي إلا جسد لإرضاء الآخر، كما أن سلطته الذكورية أتاحت له ممارسة العنف ضدها، "فالعنف الجسمي والنفسي والجنسي ضدّ المرأة منتشر في كل أنحاء العالم، تستوي في ذلك البلدان المتقدّمة والبلدان النامية."(سلامة، 2005م، صفحة 101) وهو من أهم القضايا التي أسالت أقلام الكتاب لاسيما النساء منهن دفاعا عن الذات الأنثوية، تقول على لسان شخصية ثانوية معبرة عن جلّ النساء "ذلك الحقير يضربني ويقيم علاقة مع الموظفة التي تعمل عنده يهينني أمام الجميع، لولا أولادي لما بقيت زوجة له لحظة واحدة، لكنهم يكسرون ظهري ويحنون رقبتي".(الجرماني، صفحة 44)

حاولت الأديبة تصوير العديد من قضايا العنف المعاشة ضد المرأة في المجتمع، بما في ذلك العنف الإخضاعي تحت صيغة بقاء المرأة في البيت، وخدمة الزوج والأولاد لا أكثر، "ونقصد بثقافة العنف ضد النساء كل الممارسات الفعلية والخطابية، وكل القيم والصور والرموز التي تفضي إلى العنف ضد النساء... فثقافة العنف ضد النساء هي التي تجعل الناس يعتقدون أن العنف ليس عنفا، وهي التي تسمي العنف بأسماء أخرى هي حماية المرأة أو تهذيبها، أو الدفاع عن الشرف والعرض، والخصوصيات الثقافية."(سلامة، 2005م، صفحة 101) لتصبح بذلك نسقا راسخا في ثقافة المجتمع، فتتحمل بذلك سلطة الرجل من باب الحفاظ على أولادها، وهي من أشد قضايا

العنف فتعمل هذه الأخيرة على شد أطراف الأسرة من عدة جوانب، وتتقبل العنف والإهانات الموجهة إليها حفاظا على أسرتها، ضاربة كرامتها عرض الحائط، إذ نجد المجتمع خلف تلك السلطات يناشدها، لا بل يفرض عليها حمل تلك الأعباء على عاتقها في حين يحظى الآخر بالحرية التامة، وخوفا من نظرة المجتمع، وعدم تقبّل واقعها، تجدها تكتم آهاتها وغيضها وتنصاع للأوامر، ما صنع منها مخلوقا ضعيفا مكبل الحريات يتماشى وسلطة الآخر "فالمرأة كانت ومازالت في التصور غير العادل هي الأقل أهمية في ثنائية الرجل/المرأة على المستويين الإنتاجي والثقافي... لأنها مستلبة موؤدة معنوياً وجسدياً، إلى حد أنها لا تحيا بنفسها، ولا لنفسها إنها للزوج وبالزوج.. وهي تنظر بعينيه وتسمع بأذنيه، وتحيا بإرادته وحدها، في مجتمع متخلف، يخيم عليه ظلام عبودية المرأة."(المناصرة، 2008م، صفحة 12) ففي ظل ظلم المجتمع تقول مجدولين مخاطبة نفسها: "ما أتعسنا نحن النساء! لسنا سوى مجرد ضحايا أفكار متعفنة معششة في النفوس، نجلس على أنقاض العالم، نحيا على هامش الحياة نركض، ونلهث غائصين في سطور تاريخ أجهض أحلامنا بصمت،"(الجرماني، الصفحات 44-45)في خضم هذا التحيّز الاجتماعي وترسبات الحياة التي مارست العنف ضد المرأة، وجعلتها ضحية فكر نسقي متعفن حظيت المرأة سواء في العائلة أو في المجتمع بمكانة دونية، مجردة من أبسط حقوقها حتى أصبحت تؤمن بحقيقة قصورها عن الرجل، ومن هذا الباب استغل الرجل سلطته ليقيدها ويجبرها على المكوث في البيت ويجعلها أداة لذة وشهوة وولادة، واستغل مفهوم الحجاب حتى يكبّل حريتها ويكمل صورة العنف الغير مباشر، من منطلق الحفاظ على عفّتها ليصبح بذلك الحجاب الجسدي "وسيلة الرجل وسلاحه لامتلاك جسد المرأة، والسيطرة تتم من خلال الجسد والتحكم فيه."(سولاف، 2014م، صفحة 115) تقول مجدولين: "أين العدل؟ الرجل لا يلام في مجتمعاتنا، فقد توارث تسلطه والاستبداد برأيه، دون أن يستوضح أين مكمن المشكلة وأفضل النساء عنده هي من تبقى في المنزل وترتدي جلباب أمها فوق عظامها المهترئة، لم لا يعترف بامرأة تعمل خارج المنزل وتوازيه بذكائها وإنتاجها وتحبه وحده بعيدا عن المبتذل السائد؟"(الجرماني، صفحة 110)هذا العنف الأسري الذي تولّد من رحم سلطة الأبوة، انجر عنه عنف اجتماعي حصر المرأة في خانة الضياع، وجعلها تكتم نفسهافي زاوية التهميش، وترى بعين المجتمع أنّها مجرد كائن تابع هدفه خدمة الآخر وإرضاؤه.

- سلطة الأنا واختيار لغة الصمت:

إن الهالة المحيطة بالفكر الأنثوي والقائمة على طمس وجودها، جعلتها تتبنى فكر النسق الاجتماعي، الذي بات "ينظر للمرأة نظرة دونية شهوانية، ترى أن وجودها في الحركة الاجتماعية يثير الفتنة، ويشجع على الانحلال،"(فوغالي، 2002م، الصفحات 10-11) ما جعلها تتقبل واقعها المرير وتحتل المرتبة الثانية او مرتبة اللاوجود التي حصرها الرجل ضمنها، وقد أشارت مجدولين الى ذلك في قولها على لسان شام: "قد سامحته حين وضع الجراح مبضعة في ذلك القلب المتشعب، الذي طالما تمنت الاستحواذ عليه هي وحدها ولم تمتلك القدرة لجعله جزءا من مقتنيات روحها،"(الجرماني، صفحة 16) لقد وضعت المرأة هي نفسها في مكانة دونية تسعى من خلالها لنيل رضى الآخر، ولو كان لإرضاء حاجة في نفسها فقط فقناعتها بولائها للرجل أصبح عنصر بيولوجي، مشكل ضمن تفاصيلها العقلية، بل صار عنصر لا يختلف عن صفاتها الجسدية والعقلية لأن "نظام الولاء وما يصاحبه من تلبية الاحتياجات، يسهل على الفرد القناعة بواقعه،"(شرابي، 1992م، صفحة 65) لتصبح بذلك مبرمجة آليا كأداة من مستحقات الرجل تقول مجدولين: "أنت من اختارت هذا الجحيم الذي تحرقين به روحك بأتون الغربة عن ذاتك، كيف تعطين كل هذا الحب لرجل لا يشعر؟ يستطيع ممارسة إحساسه المفرط بأنانيته مع أي عابرة سبيل، تشعلين له الشموع تنتظرينه بثوب يثير الجنون لترضي جبروته، تقومين بكل الانحناءات كراقصة باليه لتقولي له

أنا الأفضل وكل نسائك عابرات سبيل."(الجرماني، صفحة 20) فحاجة المرأة لإثبات ذاتها وفق المقاييس المفروضة من قبل الرجل، جعلتها تتبنى التبعية فالمرأة العربية لا تعيش "وفق معطياتها الطبيعة على كل الأصعدة والمستويات: إنها تعيش أزمة في نفسها، في فكرها وتصورها. في سلوكها وواقعها، فهي بقدر ما تحذر من الرجل، بقدر ما تحاول أن تركن إليه وتجذبه لها وأن تحتمي به."(م.باحثين، 2019م، صفحة 50) فهي ترى أن صورتها لا تكتمل إلا في وجود الرجل وهو ما جعلها تحصر ذاتها في خانة التهميش، فكثيرا ما كانت الأدبية تخاطب نفسها على لسان شام، لتثبت أن المرأة هي الأخرى شكلت لنفسها هاجسا لم تستطع كسره تقول: "كل نساء الأرض هيك مصيرهم،"(الجرماني، صفحة 21) إذ نجد الروائية تصور المرأة مثقلة بالانكسارات النفسية، التي انجرّت من النظرة التبعية التي رسمها المجتمع، وأصبح لزاما عليها تقبلها، والرضوخ "تحت وطأة الهيمنة الذكورية التي طمست هويّتها، ونفت إنسانيتها بأن سلبتها أبسط حقوقها الإنسانية فلاحت لنا مكمّلا ثانويا للذكورة، لا قيمة لها سوى أنّها من أتباع الرجل الذي غرس فيها الإحساس بالدونية."(م.باحثين، 2019م، صفحة 12) تقول: "هكذا نحن النساء نغلف قلوبنا ب "السولوفان" اللامع، لتقدمها هدية لمن يخذلوننا فلا أحد مفطور منذ جبلته الأولى على الخيانة، فقط عين البصيرة يغشاها الشك، وحلقات الخذلان تبدأ بخذلان أهلنا لنا، خذلان أصدقائنا، خذلان أولادنا، والنتيجة النهائية خذلان أنفسنا، فخذلان داخلنا طعن تحت الحزام، يتسرب شيئا فشيئا ليتغلغل في الأعماق وينتشر في الشرايين، يكلسها حتى يتوقف النبض، وهكذا بلحظة واحدة نصبح لا شيء،"(الجرماني، الصفحات 24-25) وهذا "نتيجة الهيمنة الذكورية التي تشكل من النساء موضوعات رمزية... موضوعات مضيافة جذّابة وجاهزة، وتنتظر منهن أن يكن أنثويّات، أي مبتسمات لطيفات مجاملات خاضعات محتشمات، متحفّظات وحتى منزويات،"(بورديو، 2009م، صفحة 103) لذلك نجد المرأة دائما تسعى إلى إرضاء الرجل وهي خاصّية صنعها المجتمع، وحصر وظيفتها في ذلك، وهو ما جعلها تهمش ذاتها وترى أنها وسيلة لخدمة الآخر، لتغلف ذاتها بتفكير أنثوي مبالغ فيه يظهر في كلامها، حركاتها وحتى تفكيرها غير أنّ "الأنوثة المزعومة، ليست غالبا شيئا آخر سوى شكل من المجاملة إزّاء انتظارات ذكورية في شأن تضخيم الأنا، فإن علاقة التبعية إزّاء الآخرين (وليس الرجال فقط) تنحو لأن تصبح مكوّنة لكيانهن،"(بورديو، 2009م، صفحة 103) لذا نجدها تسعى من خلال تفكيرها الأنثوي لإرضاء المجتمع بما فيه الآخر وإن كان على حساب كيانها، فلطالما كانت تجنح إلى الفوز بالآخر فقط وهو جل اهتماماتها تقول مجدولين مصوّرة سعيها في الفوز ولو باهتمام الرجل، "لا أنكر محاولاتها المستمرة بشتى الوسائل لتغيير سلوكه المؤذي، ولكي يبتعد عن النساء اللاتي يقمن باستغلاله ماديا واجتماعيا ولكن محاولاتها باءت بفشل ذريع، فهذه القصة كباقي قصص النساء والرجال على هذه البسيطة المتنوعة الاختلاف، والتي ابتدأت من العصر الحجري. لم ينتبهوا أنهم وضعوا أسيجة لامرأة من عواصف وبراكين،"(الجرماني، الصفحات 29-30)هكذا ظلت المرأة تحتلّ قوقعتها وتتشرب جرعات التبعية حد الانفجار، الذي صنع منها شخصا آخر موازيا، يطالب بالندية والمساواة التي ظلت لطيلة عقود من الزمن خاضعة للأنساق الثقافية والاجتماعية، التي صنعت منها مخلوقا ضعيفا في فحواه الفكري أما حقيقته فتدعوا إلى التهور وكسر الحواجز، فلا داعي لكتم الصوت وتقبل الهيمنة الذكورية فمن "منطلق القناعة بوجود خلل في ميزان القوى الاجتماعية، والسياسية بين الرجال والنساء،"(طنطاوي، 2016م، صفحة 29) انتفضت المرأة لتحرير كيانها متجاوزة بذلك الكيان الذكوري تحت شعار استدعاء الذات الأنثوية.

2.3 إلغاء الكيان الذكوري واستدعاء الذات الأنثوية:

بعد عقود من الاستبداد والضعف والتهميش الذي عانته المرأة استعادت كرامتها وثقتها بنفسها، وأدركت مدى أهميتها، وأصبحت قادرة على إبداء تميزها وفرادتها، بل تجاوزت حدود النسق لأبعد من ذلك حتى أقرت بتفوقها على نظيرها الرجل، وكيف لا تكون نرجسية المرأة وتهورها نتيجة للواقع الاجتماعي المهترئ الذي يديره الرجل؟ فكتابات المرأة ماهي إلا وسيلة دفاع ضد أفكار اجتماعية، ظلت تتلاعب بها وترغمها على الإقرار بمحدودية فكرها ودورها، فذلك الاضطهاد والتعسف في حقها جعلها تستعيد مكانتها وتحاول الدفاع عنها، وقد عبرت جل الروايات النسائية عن هذا الواقع اذ بدا ذلك جليّا في رواية الجرماني؛ حيث أدرجت أقولا واضحة وبراقة للثورة على نظام الذكورة، واستعادة الكيان الأنثوي تقول: "عزيزتي الأنثى: كم أشفق عليك وأنت في محراب زنزانتك تقاسين ألم العزلة الخانقة! أيتها الفتاة التي تستاء من حضها لأنّها لم تتزوج، ألم يرحك الله بذلك من زوج يقتل أحلامك ويميت روحك؟!... ربما تعارضني الكثيرات في ذلك، ويغيظهن قولي هذا، لكن قفن لحظة تأمل وتفكير، وأعدن النظر بتجاربكن وتجارب من حولكن فكم قدر السعادة التي حصلتن عليها خلال مسيرة حياتكن؟ أجبن بصدق وشفافية وجرأة وموضوعية."(الجرماني، صفحة 38) في قولها دعوة صريحة وشفافة لنفض غبار التبعية، فحياة المرأة وسعادتها قائمة على فرادتها بعيدا عن حياة الازدواجية المكلّلة بالتهميش والاحتقار، وقد كانت الجرماني دائما على لسان بطلة روايتها "شام" ترد على مكالماتها النسائية بالثورة ضد الرجل، وطمس الذكورة حتى تصنع ذاتها، وترمم الخدوش التي سببها الرجل، وتكملة لجرأتها الرمزية في مواجهة الآخر، يظهر في حديثها لمسة جريئة، وخطاب موجه بشكل صريح للمرأة، للكف عن تقبل واقعها المرير وحصر كيانها في خانة الجسد التي صنعها المجتمع الذكوري، والنظر إلى جسدها على أنه ملك لها ولم يخلق لإرضاء الطرف الآخر ضمن فكر حصر الجسد في خانة واحدة، والنظر إلى جسدها بالصورة البدنية للمخلوقات لا بالصورة الجنسية الإغرائية، التي أسقطتها ضمن قيود فكرية نسقية ترى أن "الجسد الأنثوي بماله من خصوصيّات، ومميزات ظل مع الوقت يحمل هذا الكيان الأنثوي، ضرورة الحضور والغياب والإقصاء بين المجموعات البشرية، التي أعطته قدسية جعلته خاضعا لحكم الجماعة، وتحت إمرة وسيطرة الرجل"(سولاف، 2014م، صفحة 115) تقول مجدولين محاولة اقصاء نظرة تبعية جسد المرأة للرجل: "يجب أن يقال للنساء والفتيات أن لديهن الحق في التصرف بأجسادهن وأن يقلن لا لتشويه الأعضاء التناسلية بحجة ضرورة طهرهن كما هي عادات بعض الدول إسألوا صديقتي نوال السعداوي عن ذلك."(الجرماني، صفحة 58)

حاولت مجدولين تصوير هموم النساء اللاتي حصرن أنفسهن في خانة إرضاء الرجل في شكل شخصيات ثانوية، تروي مأساتها وتهميشها ثم تحاول إقناعهن بضرورة تجاوز التبعية الذكورية، فهي ترى أن عالم الرجل قائم على إشباع الغرائز لا أكثر فهي في نظره مخلوق ضعيف، لم يخلق إلا لتحقيق متعته تقول: "ما يجهلونه هو الحنان المتبادل والعناق والحضن، وتشابك الأيدي هذه تفوق في أهميتها وتأثيرها على أهمية الجماع المهبلي."(الجرماني، صفحة 74) فالمرأة ماهي إلاّ جسد بلا روح وكائن خلق لسد ثغرات غريزية، إذ نجد "هناك اختزال للمرأة إلى حدود جسدها، واختزال لهذا الجسد إلى بعده الجنسي، المرأة مجرد جنس، أو أداة للجنس ووعاء للمتعة، هذا الاختزال يؤدي مباشرة إلى تضخم البعد الجنسي لجسد المرأة، بشكل مفرط، وعلى حساب بقية أبعاد حياتها"(سولاف، 2014م، صفحة 115) فنجد الادبية تبدي سخطها واستياءها، من هذه النظرة الجنسية الغريزية التي أبدت للجسد الأنثوي أولويّة خاصة على حساب قدرتها الفكرية من قبل الرجل تقول: "الذكور في مجتمعنا بشر؟ هم فقط يتبعون غرائزهم وشهواتهم ولا يفكرون فيما يسببه ذلك

من أذى نفسي قبل الأذى الجسدي، هل نحن النساء مجرد ورق على رصيف مهجور؟ ... بت مشمئزة من بشاعة التفاصيل."(الجرماني، صفحة 75)

إنّ مختلف أشكال التهميش والإهانات التي تعرضت لها المرأة، دفعتها إلى إعلان تمردها ورفضها للوضع المأساوي الذي عاشت فيه، حيث انتفضت الذات الأنثوية وغيرت واقعها بعيدا عن "الهيمنة الذكورية التي طمست هويّتها، ونفت إنسانيّتها بأن سلبتها أبسط حقوقها الإنسانية. فلاحت لنا مكمّلا ثانويا للذكورة، لا قيمة لها سوى أنّها من اتباع الرجل."(م.باحثين، 2019م، صفحة 12) تقول مجدولين محاولة تبرير الانتفاض الأنثوي في مقابل الكيان الذكوري "صممت أن أعود، هي دفقة الحياة وسيترمم كل شيئ، سأترك هذا المكان ورائي وأصعد بقطار الزمن وأمضي إلى الأمام دون رادع من الخوف أو الوجل."(الجرماني، صفحة 38) فهي تسعى للتجاوز وترميم ترهلات النفسية الأنثوية التي ألحقها بها المجتمع، فبعد سنوات الضياع"أنشأت النسوية مجموعة من الأدوات والطرق التحليلية لتفيك اختلالات القوى الخفية التي جرى تطبيقها بين الرجال والنساء، في الهياكل والمؤسسات الاجتماعية المختلفة."(طنطاوي، 2016م، صفحة 14)فاستطاعت الخروج من قوقعتها، وظلماتها وأصبحت تتفنن في تهميش الرجل، بعد أن أدركت قدرتها على حصره في الخانة التي حصرها بها تقول: "كل ما أفكر به هو الانتقام.. الانتقام من عالم الرجال وقلب الأدوار،"(الجرماني، صفحة 176) فبعد أن تحرّرت المرأة ولاقت نصوصها صدى واحتلت مكانة موازية للرجل لم يعد همها تحقيق المساواة الاجتماعية إنما صار هدفها تحطيم الكيان الذكوري، "فأصبحت تفضح أسراره، وتشوّه صورته وتقبّح أفعاله، وتهدّم إنسانيته، لتكشف وجهه القبيح من وجهة نظرها، فيبدو على نحو ما أنّه مستغلّها ومستعبدها، ومشيّئها.. وأنّ ما تغنّى به في تاريخه الأدبي الطويل بجمال المرأة وطهارة أمومتها لا يخرج عن كونه قناعا من الأقنعة التي تتقصّد افتراسها أو قتلها أو خزنها أو تنميطها."(المناصرة، 2008م، صفحة 04) ومن هذا المنطلق تجاوزت المرأة سلطة الرجل، وتعدّت إلى ممارسة حريّتها الروحية والجسدية بعيدا عنه، أو بالأحرى أخضعته لتعزيز كيانها الأنثوي وانتصرت لذاتها، حيث أصبح لصوتها صدى في ظل عوالم ذكورية قاسية.

4. خاتمة

تأسيسا على هذا الطرح يمكننا القول أنّ المرأة منذ زمن بعيد كانت ولازالت شظايا الاحتقار تلاحقها، فلطالما عانت وتجرعت سموم التبعية الذكورية في خضم مجتمع ذكوري مؤسس على تقوية الغلبة الذكورية بامتياز، فقد نسبت إليها منذ البشرية الأولى وسمة العار، والإثم وصفّت مصفّ الشياطين، واستبعدت من دائرة المعرفة وحصرت في خانة التهميش.

إن هذا الإجحاف في حق المرأة وترسيخ ذهنية التبعية جعلها تتقبل انقيادها وتحقيرها "فهكذا تتم برمجة البنت داخل (القالب الصيني)؟، فكيف تستطيع بعد ذلك أن تخوض معركة الحياة لانتزاع حقوقها وتأكيد حضورها ودورها"(أبو نضال، 2004م، صفحة 13) وهي مكبّلة بغلائل حديدية تكتم صوتها في فضاء ذكوري متسلّط، فرضه نسق اجتماعي مزيّف، فمن هذا التأسيس الذكوري البائس انتفضت المرأة لكسر الهواجس المركزية التي صنعها المجتمع وحاولت استعادة كيانها الأنثوي، فعلى الرغم من تجسيد الرجل للمرأة في كتاباته إلاأنّ الكتابة عن المرأة في خضم الإنتاج الذكوري، تبقى عنصرامكمّلا لمنجزه السردي، تظهر "كصورة مركبّة بل كحالة أحادية تحقق تفوقه الكاسح عليها من جهة وتيسر علاقته بها من جهة ثانية.. فالمرأة الأم، كما يراها الرجل ويريدها، تخلو من أية نوازع جنسية مثلا، والعذراء لا يجوز أن يخدش حياؤها، وخفرها بعبارة خارجة، أو خشنة... الخ،"(أبو نضال، 2004م، صفحة 15) فهو لا يستند

لمثولها ضمن قالبه الأدبي لتعزيز كيانها الأنثوي؛ إنّما تكميلا لفضائه الكتابي أما الكتابة النسوية ذاتها المنفكّة من التأليف الأنثوي فهي نتاج نفسية مطموسة تسعى لاستعادة كيانها في خضم معركة ذكورية يقودها الأب، والأخ، والزوج... وهذا ما سعت مجدولين الجرماني لإرسائه ضمن معلمها السردي في شكل تسلسلي، جسّد خروج المرأة من مأزقها التعسفي في ظل المعالم الذكورية المستبدّة في قالب يواري جملة من الأنساق المسكوت عنها، تظللت تحت وشاح التمييز والاستعباد الأنثوي في فضاء ذكوري محى وجودها، وجعلها تساند تغييبها، لتكمل وبدقة مسار الذكورية المفتعلة، وامتثالا لجملة التغييبات التي طرحتها أنساق الخطاب التقليدي، انتفضت الخطابات ما بعد الحداثية لمحاورة المسكوت عنه، لذلك نقترح البحث في فضاء البراديغم التي أفرزتها فلسفة ما بعد الحداثة، كالخطاب الجندري الذي يضج بالتغييب في عالم الحرية.

قائمة المصادر والمراجع:

باديس فوغالي. (2002م). *التجربة القصصية النسائية في الجزائر*. الجزائر: منشورات اتحاد الكتاب الجزائرين، دار هومة.

بوزيدي سولاف. (09, 2014م). إشكالية الشرف لدى المرأة. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد 16. صفحة (من 111-124).

بيار بورديو. (2009م). *الهيمنة الذكورية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

حاتم الصكر. *السيرة الذاتية النسوية، البوح والترميز القهري*. تم الاسترداد من http//www.iraqiuriter.com.(19.08.2022).

حسين المناصرة. (2008م). *النسوية في الثقافة والإبداع*. الأردن: عالم الكتب الحديث.

رجاء بن سلامة. (2005م). *بنيان الفحولة أبحاث في المذكر والمؤنث*. سوريا: بترا للنشر والتوزيع.

سارة جامبل. (2002م). *النسوية وما بعد النسوية*. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

سعيد يقطين. (2012م). *قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

عبد العالي بوطيب. (2006م). *الكتابة النسائية التخييل والتلقي*. المغرب: اتحاد كتاب.

عبد الله الغذامي. (2006م). بيروت: المركز الثقافي العربي.

عبد الله الغذامي. (2012م). بيروت: الانتشار العربي.

م.باحثين. (2019م). *المرأة العربية بين فكي الهيمنة الذكورية والتدين*. ألمانيا: المركز الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

مجدولين الجرماني. (بلا تاريخ). *مورفين أحمر*.

نزيه أبو نضال. (2004م). *تمرد الأنثى، في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2004)*. بيروت: المؤسسة العربي للدراسات والنشر.

نوال السعداوي. (2017م). *الوجه العاري للمرأة*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.

هشام شرابي. (1992م). *النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

هند محمود شيماء طنطاوي. (2016م). *النسوية، النسائية، الشابة*. نظرة للدراسات النسوية.